

فوق السحاب العاصف
كيف الحال حين تسامح الآخرين؟
تأليف: روبرت د. إنرايت
رسوم: كاثرين كنز فيني
نهضة مصر

فَـــوْقَ
السَّـحَابِ العَاصِـفِ

فَوْقَ السَّحَابِ العَاصِفِ

كيفَ الحالُ حينَ تُسامِحُ الآخرِينَ؟

تأليف: روبرت د. إنرايت
رسوم: كاثرين كنز فينى





فِى يوْمٍ مِنَ الأيامِ، يومٍ
ليسَ ببعيدٍ، كانَ
الأرنبُ حَكِيمٌ وزوجَتُهُ
الأرنبةُ حَكِيمةُ يَعيشَانِ
فِى هذَا الكُوخِ السعيدِ
معَ طفليهِمَا سامحٍ
وسَمَاحَ، أو سَمُّوحَةَ
كَمَا يُدَلِّلاَنِهَا.





صَرَختْ سَمَاحُ: «لقدْ ضَربنِى يا أَبِى!».

صَاحَ سَامحٌ: «كَلاًّ، لم أفعَلْ. فقطْ سكبتُ عليكِ الحلْوَى ثم أخذتُ أمسحُهَا مِنْ عَليكِ».

«ولكنَّكَ كُنتَ تَمسحُ بِعُنفٍ».

«كَلاًّ، لم أفْعَلْ».

طَارَ منديِلُ السيِّدِ حَكيمٍ وكتابُهُ بعيدًا، وفَقَدَ هُو إحسَاسَهُ بالنظَامِ، وَفِى ظِلِّ ارتباكِهِ سقطَ فنجانُ الشَّاى والكعْكُ وتناثَرَتْ قِطعٌ صغيرةٌ منهُ على الأرضِ.



وفجأةً، «تشقلبَ» سامحٌ وسَماحُ داخلَ الحُجرةِ، مُحدِثَيْنِ صَخَبًا، ضَارِبَيْنِ بَعضُهُمَا بَعْضًا بالأرجُلِ، يَصرُخانِ، يُسدِّدَانِ لَكَماتٍ فِى البطْنِ.

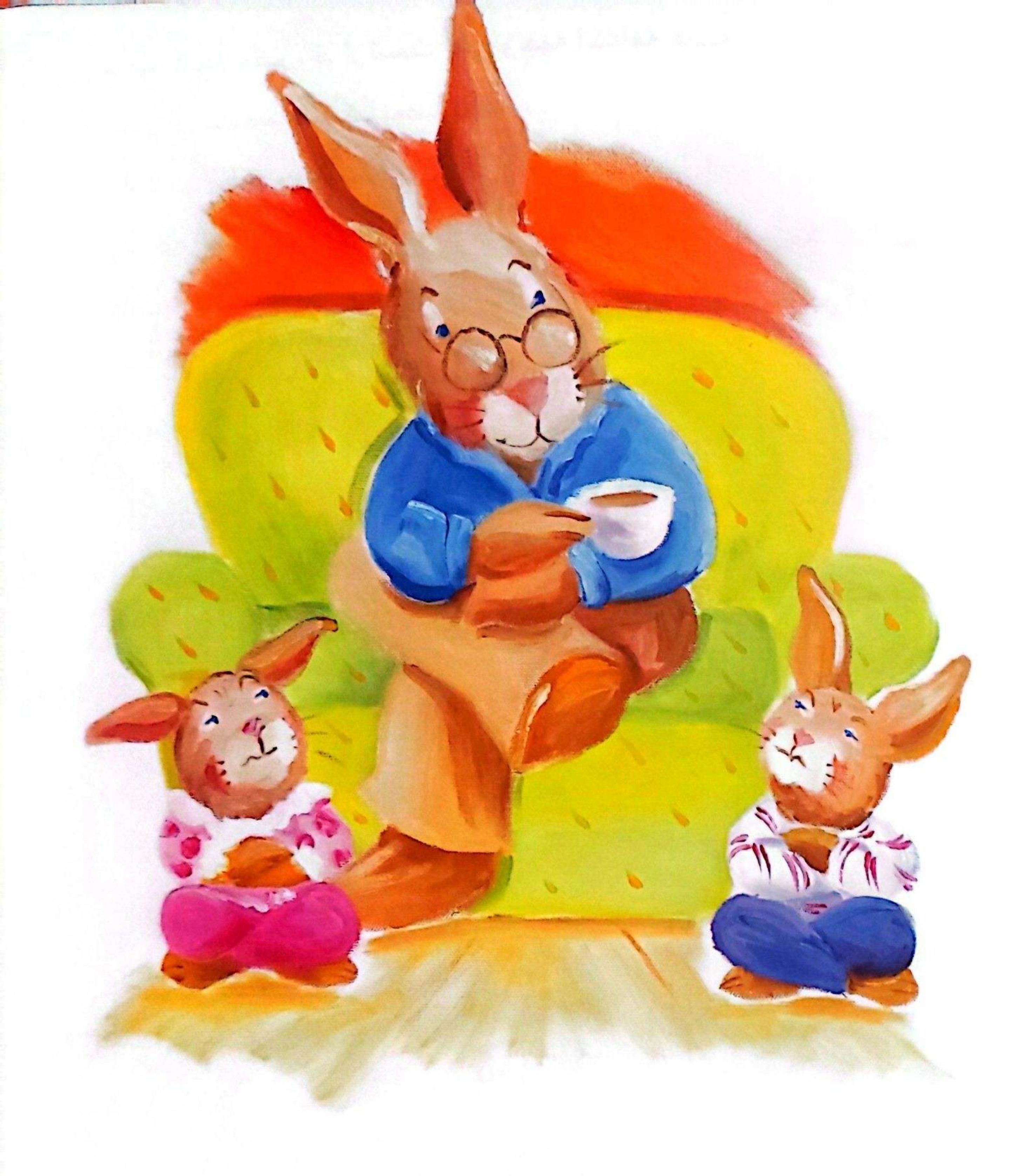


قَالَ السيدُ حكيمٌ: «والآنَ اسمعَا يَا أوْلادُ، فَلنجلِسْ ولْنُحَاولْ أَنْ نجمعَ شَتَاتَ أنفسِنَا».

تَذمَّرَ سَامحٌ وزَفَرَ زفْرةً غاضِبةً وهو يقولُ لأبيهِ: «نجمَعُ أنفسَنَا! ماذا نكونُ؟ بطاقَاتٍ مُلقاةً على الأرْضِ، أمْ مَاذا؟».

بَدَتْ علَى السيدِ حكيمٍ مَلامحُ صَارِمةٌ وقَالَ بنبْرةٍ حَازمةٍ كتِلكَ التِى يستخدمُهَا الآباءُ أحياناً: «هذا يكْفِى ويزيدُ!» وبدَأَ هُوَ فِى جمْعِ شَتَاتِ نفسِهِ، فقدْ جلسَ عَلَى الأرضِ وأخَذَ يَجْمعُ فُتَاتَ الكعكِ المتناثرِ.


«ولكنَّهُ قَالَ...».
«كَلاَّ، بلْ هِىَ
التِى قَالتْ...».
«كَانَ ذلك
أمْرًا بَغِيضًا».
«إنَّمَا الشخْصُ
البغِيضُ هُوَ أنتَ».



بَعْدمَا عَدلَ طبقَهُ ونظَّفَ الأرضَ قالَ السيدُ حكيمٌ بِهُدُوءٍ: «تَعَالَيَا هُنا يَا طِفلَىَّ، فلْتَجلِسَا بجَانِبِى، فَعنْدِى لَكُمَا سُؤالٌ».

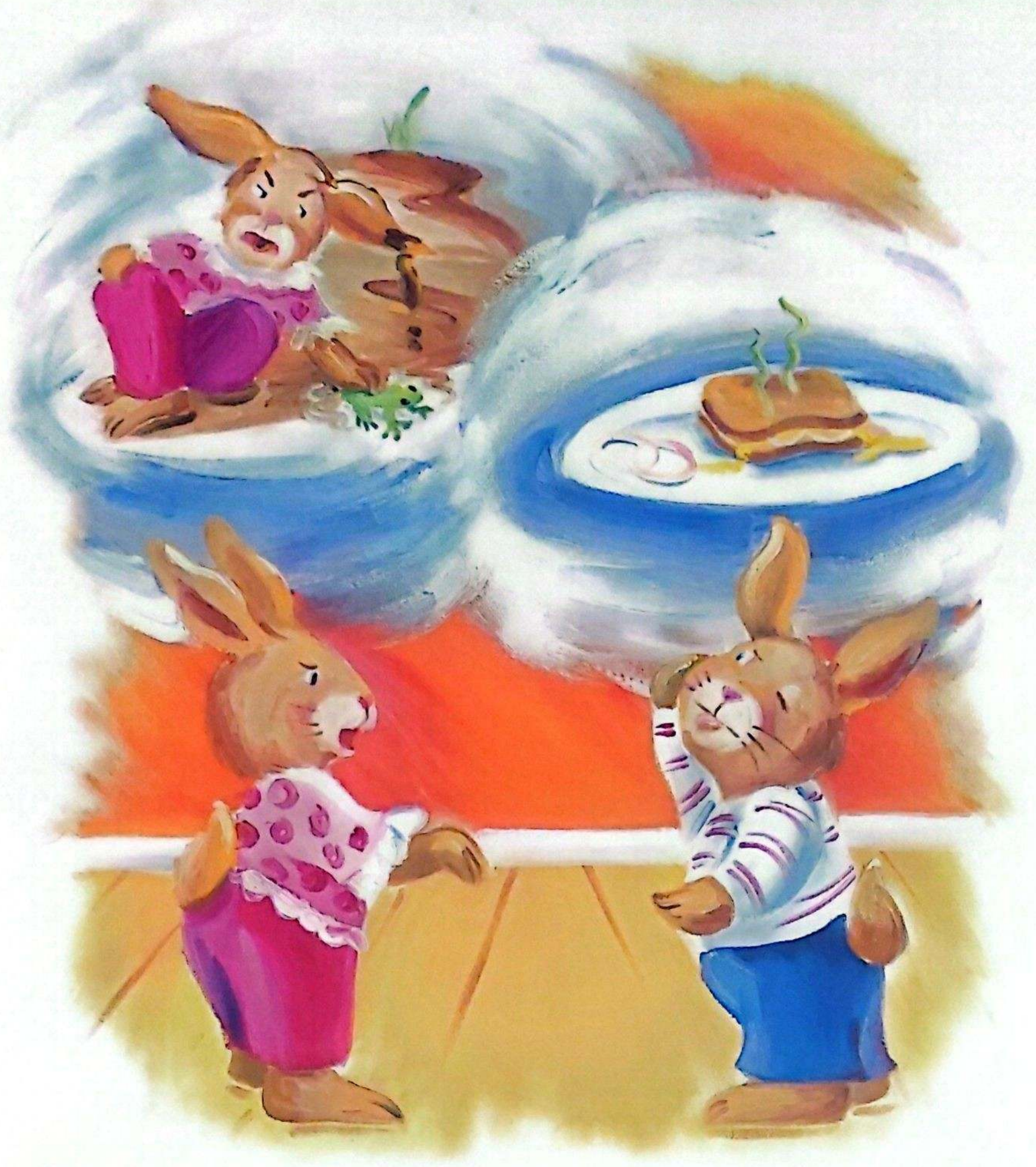
نَظَرَ سَامحٌ وسماحُ إلَى وَالِدِهمَا بِحَذَرٍ، وَبِبُطْءٍ جلَسَا بجَانِبِ مقْعَدِهِ المنتفِخِ الكَبيرِ.

سَألهُمَا السيدُ حكيمٌ وقد ارتسمَتْ على وجهِهِ ابتسامةٌ هادِئةٌ: «كيفَ سيكونُ الحالُ إنْ سامحتمَا بعضُكمَا بَعْضًا؟».

وقفَتْ أُذُنَا سامحٍ وقَالَ مُعترضًا: «أنَا أسَامِحُهَا؟ مُستحيلٌ!».

رَدَّ عليهِ السيدُ حكيمٌ: «ولكنِّى لمْ أطلبْ مِنك أنْ تسامِحَهَا، أليسَ كَذلِكَ؟ إنَّمَا طَلبْتُ مِنكَ أنْ تُخبرَنِى كيفَ يكونُ الحالُ إنْ سَامَحَ كُلٌّ مِنكمَا الآخرَ؟».





«سَيكونُ الحَالُ كمَا لو كُنتُ آكلُ شَطِيرةً مِنَ السُّجقِّ وعَليها صَلْصَةٌ حارَّةٌ وبَصَلٌ فِي خُبزٍ جافٍّ سَيِّئِ الطَّعْمِ».

انطلقَتْ سَمَاحُ وصَاحت: «أحقًّا؟ أهُوَ كذلكَ؟ حَسَنًا، سيكونُ الأمرُ أشْبَهَ بسقوطِي فِي بِرْكَةٍ مِنَ الطِّينِ وَالانزِلاقِ عَلى ضُفدعٍ لزِجٍ».



اسْترخَى السيدُ حكيمٌ فِي مقعدِهِ

وَأمْسكَ فنجانَ الشّاى، ثُمَّ قالَ:

«أتتذكّرَانِ عِندمَا ذَهبنَا إلَى المَطَارِ وكانَ يَشقُّ السماءَ

رَعدٌ وبرقٌ عَنيفَانِ؟ فَقدْ بدَا حينَهَا أنَّ اليومَ بأكملِهِ يُنذرُ

بعاصفةٍ هَوجَاءَ!».



«الصفْحُ والمُسَامحةُ أشبهُ بالصُّعودِ علَى متنِ الطائرةِ، والإقلاعِ بَعيدًا حتى تعلُوَ فوقَ السَّحابِ العاصفِ، وتجدَ نفسك تثبُ بِرِقَّةٍ فوقَ كُتلِ السَّحابِ القُطنيَّةِ ومِن أمامِكَ تَمتدُّ السَّماءُ الزَّرقاءُ الصَّافيةُ ويسطعُ ضَوءُ الشَّمسِ طَوالَ اليومِ. فلْتُفكِّرَا فِي الصَّفحِ بهذهِ الطَّريقةِ، فعندمَا نُسَامحُ الآخرينَ نسْمُو فوقَ الصِّياحِ والانفعالِ ونَعْلُو، تمامًا كمَا تَعْلُو الطَّائرةُ فَوْقَ السَّحابِ العاصِفِ. سَتَشْعُرانِ بِقلْبَيْكُمَا يزدادان سَكِينةً وَتفَاؤلًا».

الصَّفحُ والمُسَامحةُ أشْبهُ بفرَاشَتَيْنِ خرجتَا لتوِّهِمَا مِنْ عَالَمِهِمَا المظْلِمِ دَاخِلَ الشَّرْنَقَةِ ليتشارَكَا معًا زَهْرةً مِنَ الزُّهورِ، أتعلمَانِ كيفَ حَدَثَ لهُمَا هذَا التَّغييرُ المُذهِلُ مِنْ داخِلِ شَرْنقتِهِمَا إلى تِلكَ الألْوانِ البرَّاقةِ المُتلألِئَةِ؟ المُسامَحةُ تُشبهُ هذَا التغييرَ، فعِندمَا تُسامحُ الآخرينَ، تتَغيرُ أفكارُكَ تجَاهَ الشَّخصِ الذِي ألحقَ بِكَ أذًى، فَأنتَ الآنَ ترَى الجانبَ البرَّاقَ بداخِلِه».







لَمْ يكُنْ سَامحٌ وَاثقًا مِنْ هَذا، فَفِي
هَذهِ اللحظةِ كَانَ لايَزالُ يرَى سَمَاحَ
مِثْلَ شَرنقةٍ قَاتِمةٍ كَئيبةٍ وليستْ
فرَاشَةً جَمِيلَةً ذاتَ بريقٍ.



أَكْملَ السيدُ حكيمٌ بِهُدُوءٍ:
«الصَّفحُ والمُسامحةُ أشبهُ بِدُبَّةٍ قويَّةٍ أَمْسَكَتْ صَغِيرَهَا ويَدُهُ فِي عُلْبةِ الكَعْكِ قبلَ العَشاءِ مُباشرةً، فأوضَحتْ له خطأَهُ، ولكنَّهَا استمرَّتْ تُظهِرُ لَهُ حُبَّهَا وتَضمُّهُ إِلَى حضنِهَا الكَبيرِ الدَّافئِ.
فلتفكرًا بالمسامَحةِ بهذهِ الطريقةِ، فالمُسامحةُ تساعِدُنَا عَلَى الاستمرارِ فِي حُبِّ الآخرينَ، بالرَّغمِ مِنْ عَدمِ رِضَائِنَا عمَّا فعلُوهُ».



«الصَّفحُ والمُسامحةُ أشْبَهُ بقطٍّ رقيقٍ يدعُو كلْبًا لمشاركته فى تلكَ البقعة الدافئةِ بجانبِ المدْفأةِ، وبسماحةِ نفسٍ يلبّى الكلبُ دعْوتَهُ بعدَ يوْمٍ من النباحِ والشجار المحتدمِ، فعندمَا تُسامحانِ بعضكمَا بعضًا تُظهرانِ طيبةً وأخلاقًا كريمةً، رغم أنّ الآخر لم يفعلْ مَا يجعلُهُ جديرًا بذلكَ. عندمَا يُسامحُ كلُّ منكمَا الآخر، تعيشانِ معًا حياةً سالمةً هنيئةً».



«الصَّفحُ والمسَامحةُ أشبَهُ بحيوانِ الشَّيهمِ الشَّائكِ وحيوانِ الخلدِ حينَ يتشاركَانِ فِي جُحْرٍ صَغيرٍ فِي الشتاءِ القارصِ، تجدُ الخلدَ يَخطُو خُطواتٍ مُتمهلةً مُتجنبًا أشْواكَ الشَّيْهمِ الحَادَّةَ، والشَّيْهَمُ هُوَ الآخرُ يتَحرَّكُ ليُعطِيَ الخلَدَ مساحةً أكبرَ للحركةِ، فَكُلٌّ منهُمَا يُحاولُ إبداءَ احترامهِ للآخَرِ، والمُسامحةُ مثلُ ذلكَ أيْضًا، فَقَدْ لا يُعجبُكَ دائمًا مَا يَحدُثُ، وَمعَ ذلكَ تبذُلُ كلَّ مَا فِي وُسعِكَ مُحَاولاً أنْ تُبدِيَ احترامَكَ للطَّرفِ الآخرِ».

«فالصَّفحُ والمُسامحةُ أشْبَهُ بموقفِ سَمكةِ الجَابِي، وَيَا لَهَا مِنْ سمكةٍ مُتذمِّرةٍ مثيرةٍ للمشَاكلِ، فَقدْ فقدتِ السَّمكةُ كاملَ نقودِهَا التِي ستَتناولُ بهَا طَعامَ الغداءِ وَهِي فِي مَدْرَسَةِ للأَسْمَاكِ، إلا أنَّ سَمكةَ الجُروبرِ عثَرتْ علَى هذهِ النقودِ، وبالرَّغمِ منْ أنَّ الجَابِى تَشاجرتْ مَعَ الجُروبرِ يومَ أمْسِ، فَمَا كَانَ مِنهُ إلا أنْ سَبحَ إليهَا مُسرِعًا ليعطيَهَا النقُودَ دُونَ أنْ تسألَهُ هِيَ ذلِكَ. شَعَرتِ الجَابِى بالامتنَانِ العَميقِ إزاءَ هذا الخُلقِ الكرِيمِ، وشعَرَ الجُروبرُ بسعادةٍ لأنَّهُ أعطَى الجابِى نقودَهَا. فالمُسامحةُ تُعلمُكَ أنْ تكونَ بالغَ الكرَمِ فِي العَطاءِ، فهِيَ تذيبُ قلبَ مَنْ صَفَحَ وتُرقِّقُ قلبَ مَنْ تَلقَّى الصَّفحَ».





«الصَّفحُ والمُسامحةُ أشبهُ بهذَا، فقدِ اندلعَ لتوِّهِ شجارٌ عنيفٌ بينَكَ وبينَ صَديقِكَ، فتَرَى العالمَ مِنْ حَولِكَ يملؤُهُ غمامُ السَّحابِ وكآبتُهُ، فتخْرُجُ إلى المُروجِ الواسِعةِ حيثُ الزهورُ البريَّةُ، وترَى الشَّمسَ بوجْهِهَا المُشرقِ، وَهَا هُوَ صديقُكَ وعلَى وجهِهِ قدِ ارتسمَتْ أكبرُ ابتسامةٍ تعرفُهَا لَهُ، يُحيِّيكَ ويدْعُوكَ لتذهبَ إليْهِ، تَستلقيانِ معًا علَى المُروجِ تَنْظُرانِ إلَى كُتلِ السَّحابِ القُطْنِيِّ وتتحدَّثَانِ عَنْ ذلكَ الوَقْتِ الذِي استَقْلَلْتُمَا فيِهِ الطَّائرةَ معًا. فعندمَا يَصفحُ كلٌّ منكُمَا عَنِ الآخرِ، قد تُصيبكُمَا الدهشةُ عندمَا تَشعرَانِ بِمُروجِ الصَّيفِ وأريجِهَا قدِ انطلقَتْ مُتفتحةً تَمْلأُ جَنَباتِ قَلْبَيْكُمَا».







أرادَ السيدُ حكيمٌ أنْ يُواصِلَ: «الصَّفحُ والمُسامحةُ أشْبَهُ بِـ. . . .» ولكنَّ سامحًا وسَماحَ كانَا قد توقَّفَا عَنِ السَّماعِ لَهُ. نظرَ كلٌّ منهُمَا إلى الآخرِ، ورَقَصَتْ عيناهُمَا، وتلطَّفَتِ ابتسامتُهمَا، فقد أدْرَكَا معنَى أن يعيشَا معًا حياةً سالمةً هَنيئةً.

قَالَ سامحٌ مُمسِكًا بيدِ أُختهِ سَماحَ: «هيَّا يا فراشَتِي، فَلنذهَبْ ولْنَلعَب فِي الخَارجِ».





فَسألهُما السيدُ حكيمٌ: «ألا تريدانِ أنْ تسمعَا المزيدَ؟». فَهُو لا يُحبُّ أنْ يقْطَعَ دَرسًا دونَ أن يشعُرَ أنَّهُ قدِ انتهَى منهُ تمامًا. إلا أنَّ سَامحًا شكرَهُ وقالَ: «شُكرًا لكَ يا أبِى، لَكِنْ هَلْ يُمكِنُنَا أنْ نسمَعَ المزيدَ فيمَا بَعْدُ؟ فالمروجُ تَنتظرُنَا».



كَانَ لِهذَا وَقْعٌ حَسَنٌ فِي نَفسِ السيدِ حكيم، ثُمَّ أمضَى القليلَ مِنَ الوَقتِ بَعد ذلكَ لينظِّفَ مَا بَقِيَ مِنْ فُتَاتِ الكَعْكِ، قبلَ أنْ يذهبَ إلى السَّيدة حكيمةَ، فطَالَمَا أحبَّ أنْ يتركَ هذهِ الغرفةَ تُرفرفُ عَليها السَّكينةُ والسَّلامُ. والأهمُّ مِنْ ذَلِكَ، أنَّ السَّيدَ حكيماً والسَّيدةَ حكيمةَ عَرفَا كيفَ يَعيشانِ حياةً هَنيئةً سَالمةً.

كَلِمـــةٌ عَـــنِ المُسَــامَحــةِ

عَزيزى وَلِىَّ الأمْرِ والمُعلم والقائمَ علَى رِعَايةِ الأطفال:

أنتَ علَى وَشْكِ أنْ تَشُدَّ الرِّحالَ إلى مُغامرةٍ مُثيرةٍ بحقٍّ، ألا وهِىَ مُساعدةُ الطِّفل علَى أن يعرفَ عن المُسامَحةِ وهِىَ إحدَى القِيمِ الأخلاقيَّةِ الجميلَةِ. وقدْ ظَلَّ عُلَماءُ النَّفسِ يكتبُون أوْرَاقًا بَحثيةً فِى دِراسةِ القِيمِ الأخلاقيةِ مُنذُ فترةٍ تَعودُ إلَى أواخرِ القرنِ التاسعَ عَشَرَ.

إنَّ الصَّفحَ عَنْ أشخاصٍ أسَاءُوا لنَا إساءةً بالغةً يُمكنُ أنْ يرفَعَ عَنْ صُدورِنَا عِبءَ الانتقامِ الذى قدْ يُعيينَا لسَنواتٍ وسَنواتٍ. وقدْ تَسنَّى لى معرفةُ أشْخَاصٍ مَلأهُمُ الحنَقُ تجاهَ بعضِ أفرادِ عَائلتِهمْ لعدةِ عُقُودٍ، ومِنْهُمْ هَذَا الشَّخصُ الذى كَانَ والدُهُ يقسُو علَيهِ فِى فَتْرةِ طُفولتِهِ، فقدْ ظَلَّ هذَا الشَّخصُ يُراوِدُهُ حُلْمٌ كُلَّ ليلةٍ طيلةَ 22 سَنةً أنَّ وَالِدَهُ يُطارِدُهُ ويُلاحقُهُ، ولكنْ بمجرَّدِ أنْ تَعلَّمَ مُسامحةَ أبيهِ، توقَّفَ هذَا الحُلْمُ عَنْ مُراودتِهِ، وبَدلاً مِنْ إحساسِ المَرارَةِ الذى كَانَ يشعُرُ بِهِ، مَلأهُ شُعورٌ بالسَّكينةِ والسَّلامِ.

المُسامَحَةُ أشْبهُ بهذَا الأمْرِ، فهِىَ تخترقُ مَشاعِرَ الغضَبِ والحنَقِ لتمنحَ كُلَّ المشتركينَ فِى المُشكلةِ بدايةً جَديدةً معًا. وَعندمَا تُسامحُ، تَتحرَّرُ مِنْ قُيودِ مَشاعرِ الحنَقِ، وعندمَا يَشعرُ الآخرُ بمُسامَحتِكَ، تُتاحُ لَهُ الفُرصةُ ليبدأَ صَفحةً جديدةً معَكَ مُحاولاً أنْ يكونَ أكثرَ تحضرًا واحترامًا وَطيبةً. كمَا يستفيدُ كُلُّ مَنْ حولَكَ أيضًا حيثُ ستقلُّ فرصَةُ أنْ تبثَّ غضبَكَ على مواقفَ أخرى أو علَى أُناسٍ لَيسَ لَهمْ ناقةٌ ولا جملٌ فِى سببِ غضبِكَ.

مَا المُسامحةُ. . .؟

يُمكنُ تعريفُ المُسامحةِ كما يلى: تعرضُكَ لإساءةٍ غير مبرَّرةٍ مِنْ قِبَلِ شَخصٍ آخرَ، ومَعَ ذلكَ تُجاهدُ علَى أنْ تتخلَّصَ مِنْ مَشاعرِ الحنقِ (والتى لكَ فيهَا كُلُّ الحقِّ نَظرًا لتلكَ المُعامَلةِ غيرِ العَادلةِ التى تلقَّيتَهَا) وتبذلُ مَا فِى وُسعِكَ لتظهرَ لهذَا الشَّخصِ المسىءِ مَشاعرَ مِنَ التعَاطُفِ والخيْرِ والحُبِّ (مَعَ العلمِ أنَّ ما تفعلُهُ هُوَ مِنْ قَبيلِ الرَّحْمةِ وليسَ مِنَ الضَّروريِّ أنْ يكُونَ الشَّخصُ المُسِىءُ جَديرًا بِهِ).

وَلكنْ قدْ تبدُو المُسامحةُ أنهَا تنطوِى علَى ثلاثةِ تناقُضَاتٍ. أولاً: يُحاولُ كُلُّ مَنْ حوْلكَ أن يُشجِّعكَ علَى الغضَبِ: «لا تَجْعَلْ هذَا الشَّخصَ يَمرُّ بفعلتِهِ هذِهِ دونَ عِقابٍ». فِى حينِ أنَّ المُسامِحَ عَليهِ أنْ يتخلَّصَ مِنْ مَشاعرِ الحنَقِ هذِهِ.

ثَانيًا: يبدُو أنَّ المُسامِحَ هُوَ مَنْ يقومُ بكُلِّ أشكَالِ العَطاءِ، والشَّخصُ المُسىءُ ليسَ منهُ إلا تلقِّى هذَا العطاءِ. لماذَا تُظهرُ لَهُ مشاعرَ الطِّيبةِ؟ أليسَ دَوْرُ المُسىءِ أنْ يُقدِّمَ شَيئًا؟ ولكنْ علَى الرَّغمِ مِنْ ذلِكَ، فالمُسامحُ هُوَ مَنْ يُظهرُ مَشاعرَ الطِّيبةِ.

ثَالثًا: عندمَا يسعَى المُسامحُ للطَّرفِ الآخرِ مُظهرًا لَهُ اهتمامًا ورعَايةً، عَادةً مَا يَجِدُ أنَّهُ هُوَ الذى شُفِىَ مِنَ النَّاحيَةِ الانفِعَاليةِ.

وَمَا غَيرُ المُسَامَحَةِ. . .؟

بَينمَا تتعلَّمُ أكثرَ أنتَ وطفلُكَ عَنِ المُسامحةِ، ستدركُ أنَّهَا ليستْ دائمًا كما تَبدُو. المُسامحةُ ليستْ خُلُقًا ضَعيفًا، إنمَا هِىَ خُلقٌ قوِىٌّ، فَعطاؤُكَ لشَخصٍ عَاملَكَ بظُلمٍ هُوَ خُلُقٌ كريمٌ مِنَ الحبِّ والرَّحمةِ. المُسامَحةُ لا تَجعلُ مِنَّا

أشخاصًا خاضعين أذلاء يطؤنا الآخرون بأقدامهم.
عندما نسامح يمكننا أيضًا، بل يجب علينا، أن نصمد ونطالب بحقوقنا.

كذلك تختلف المسامحة عن التغاضى عن أخطاء الآخرين أو خلق أعذار لهم، ذلك لأننا حين نسامح، نشير إلى أفعال الشخص الآخر على أنها أفعال خاطئة ولا نجد له أية أعذار.

كما لا تتساوى المسامحة مع النسيان. ومن خلال دراستى العلمية للمسامحة والتى بدأتها فى عام 1985، يمكننى أن أجزم بأننى لم أر أحدًا، ولو مرة واحدة، نسى الإساءة التى تجاوز عنها. صحيح أن الأشخاص يمكن أن تتغير طريقتهم فى تذكر هذه الإساءات، ولكنهم لا يصابون بفقدان ذاكرة أخلاقى مفاجئ من جراء عملية المسامحة.

من ناحية أخرى، لا تتساوى المسامحة وتسوية الخلاف؛ ذلك لأن الشخص حين يسامح، يطرح من جانب أحادى نهاية لمشاعر الحنق، وبدلاً منها يمنح المسىء مشاعر التعاطف والحب. وقد يرفض الطرف الآخر تلك المنحة منه، إلا أنه يظل هو من يقرر تقديم مثل هذه المنحة أو لا.

على الجانب الآخر، فى حالة توصل طرفين لحل وسط أو تسوية للخلاف القائم فإنهم يسترجعون الثقة مرة ثانية كل فى الآخر. وفى المقابل، الصفح يعنى منح الحب، وليس بالضرورة أن تولى الشخص الآخر ثقتك فى أمور معينة إلا إذا عقد العزم على ألا يسىء إليك مرة أخرى كما فعل مسبقًا (وذلك فى نطاق الحدود المعقولة) وأن يبدى أسفه عمًا بدر منه تجاهك وأن يعوضك عمًا ألحقه بك من أذى. وعلى هذا، فيمكن للشخص أن يسامح دون أن يصل إلى تسوية الخلاف وذلك فى حالة استمرار الآخر فى أفعاله المسيئة.

حقوق الطفل وسلامته

أثناء تربية طفلك وتعليمه المسامحة احرص على مراعاة بعض الأمور الأساسية التى تضمن حقوق الطفل وسلامته.

إن المسامحة فعل يقوم به المسامح باختياره ولا ينبغى على المعلمين وأولياء الأمور وكذا أى شخص آخر أن يجبر الطفل على أن يسامح أحدًا. فإن لم يبد الطفل رغبة فى المسامحة، يجب علينا أن نحترم هذا منه. ومع ذلك فلتضع فى اعتبارك أن الرفض الجازم من جانب الطفل ليس بالضرورة أن يكون رأيه النهائى تجاه هذا الموقف، فقد يكون على استعداد للصفح فى وقت آخر، ولكن لابد أن يتم هذا باختياره.

من جانب آخر، لا تعنى المسامحة أن يبدأ الطفل علاقة بصورة آلية مع من تعرض له بالأذى أو أى فرد يشكل له خطرًا، تذكر أن المسامحة تختلف عن تسوية الخلافات.

يجب أن تراعى ألا تمارس ضغطًا على الطفل أثناء تدريبه على الصفح والمسامحة، فالأمر يختلف عن درس فى الرياضيات أو درس آخر تزيد فيه درجات الطفل مع تحسن أدائه أو تفوقه على أقرانه؛ لذا فلا يجب إدخال المسامحة فى منافسة، إنما لابد أن تحاول أن تجعل الطفل يستمتع بما يفعله من صفح مع التأكيد على أن ذلك لابد أن يتم باختياره.

وحتى فى حالة عدم رغبة الطفل فى المسامحة، يجب عليك أن تقرر ما إذا كان مناسبًا للطفل على الأقل أن يعرف المسامحة؛ ذلك لأن فهم الصفح يختلف عن ممارسته. وقد يأتى برأى متشكك ذاكرًا أن ذلك

أسلوبٌ ماكرٌ لإجبارِ الطِّفلِ عَلَى ممارستِهِ. أنا لا أتفقُ مَعَ هذَا الرَّأى. فإنْ تحسَّسْنَا مشاعرَ الطِّفلِ عندَ تناوُلِ المَسألةِ، فسيستمعُ ويتعلَّمُ دُونَ أنْ يشعُرَ بالضَّغطِ ليقُومَ بالمُسامحةِ.

مكوِّنَاتُ الصَّفحِ والمُسامحةِ

قِصَّةُ «فوقَ السَّحابِ العاصِفِ» تُعرِّفُ الطِّفلَ بعَالمِ المُسامحةِ وذَلكَ بعَرضِ خَمسةِ مكوِّناتٍ مُهمَّةٍ لَهُ:

القِيمةُ الأصِيلةُ للشَّخصِ: تَنطَوِى هَذهِ القِيمةُ عَلَى الفِكْرةِ الأساسيَّةِ وَهِىَ أنَّ الإنسانَ إنسانٌ بغَضِّ النَّظرِ عمَّا يفعلُهُ، وذَلكَ يُشبهُ فكرةَ أنَّنَا نَبقَى عَلَى مشَاعرِ الحُبِّ تجَاهَ الشَّخصِ المُخطِئِ ونَبُثُّ مشَاعرَ الكُرْهِ بدَاخلِنَا عَلَى الخَطأِ نفسِهِ. وعندمَا يبدأُ الطِّفلُ فِى رؤيةِ مَا هُوَ أبعدُ مِنْ أفعالِ الأشخَاصِ إلَى مَا يُكنُّونَهُ فِى نفوسِهِمْ ويُشكِّلُ شَخصياتِهِمْ، يَبدءُونَ أيضًا فِى وضْعِ القاعدَةِ الأساسيَّةِ لبناءِ معرفَتِهِمْ عنِ المُسامحَةِ.

الحُبُّ الأخلاقِىُّ: عندمَا نُحبُّ حبًّا أخلاقيًّا، يكونُ حُبًّا غيرَ مشرُوطٍ، بالرَّغمِ مِنَ الأخطاءِ التِى قدْ تُرتكَبُ. وبالطَّبعِ يُمكِنُ لِمَنْ يُحبُّ حبًّا أخلاقيًّا أنْ يَطلُبَ مِنَ الطَّرفِ الآخرِ العَدلَ فِى المعاملةِ، وفِى الوقتِ نفسِهِ، يَضعُ مَصْلحةَ الطَّرفِ الآخرِ فِى قلبِهِ، فَالحُبُّ الأخْلاقىُّ لَيْسَ حُبًّا أَنانيًّا، أوْ مُتمرْكِزًا حوْلَ الذَّاتِ، إنَّمَا هُوَ أساسُ المُسامحةِ الحقَّةِ.

الطِّيبةُ: عندمَا يَمتلكُ الإنسانُ مَشاعرَ الطِّيبةِ، يَكونُ حنونَ القلبِ مُهتمًّا بشئونِ الطَّرفِ الآخرِ، ويُعاملُهُ معامَلةً إنسانيةً. والإنسانُ الذِى يتمرَّنُ عَلَى اكتسابِ مَشاعرِ الطِّيبةِ، يَضعُ بذلكَ الأساسَ للصَّفحِ عَنِ الآخرينَ. أحيانًا مَا يتكلمُ البَعْضُ عَنْ «تغيُّرِ القلْبِ»، وهَذا ما يحدُثُ عندمَا نُسامحُ الطرفَ الآخرَ. فالقلبُ المتحجِّرُ يَلينُ ويترقَّقُ.

الاحتِرَامُ: عندمَا يُبدِى شَخصٌ احترامَهُ للطَّرفِ الآخرِ، فهذَا يَعنى أنَّهُ يُعلِى مِنْ شأنِهِ ويقدِّرُهُ. يَعتقدُ البَعضُ أنَّ الاحترامَ لابدَّ مِنْ بَذلِ الجهْدِ لاكتسابِهِ، وأنا أعتقدُ، مُؤيدًا لرأىِ الفيلسوفِ الألمانىِّ إيمانويل كانط، أنَّ للبشَرِ قيمةً جوهريَّةً تَصلُ إلى الحدِّ الذى ينبغِى معَهُ احترامُ أحدِنَا للآخرِ. فنَحنُ نحترمُ الآخرِينَ، ليسَ لأفعالِهم، إنَّمَا لِشَخصيَّاتِهِمْ. وعندمَا يتدرَّبُ الأطفالُ علَى احترامِ الآخرِينَ، يُسهِّلونَ بذلِكَ مِنْ عمليةِ المُسامحةِ فِى المُستقبَلِ.

الكَرَمُ: أنْ تكُونَ كريمًا؛ وهُوَ أنْ تعطِىَ بسخاءٍ. إنَّ العطاءَ يجلبُ المفاجأةَ والسُّرورَ علَى مَنْ يتلقَّاهُ. وإنِ اكتسبَ الأطفالُ صِفةَ الكرَمِ، فسيسهُلُ إدراكُهمْ لِمعنَى أنْ يمنحُوا هبةَ المُسامحةِ لِمَنْ أساءَ إليهِمْ.

إلا أنَّ الصَّفحَ يشتمِلُ علَى أكثرَ مِنْ إدراكِ الأطفالِ لقيمةِ الشَّخصِ الأصيلةِ واكتسابِ صفاتِ الحُبِّ الأخْلاقىِّ والطِّيبَةِ والاحترَامِ والكرَمِ. فمَعَ نُموِّهِم، يُدرِكُ الأطفالُ أنَّ بإمكانِهِمْ تعميمَ مُسامحةِ أخيهِمْ بالمنزلِ - عَلَى سَبيلِ المِثَالِ - إلى الآخرِينَ، لِتَشملَ المُعلِّمَ أوِ الصَّديقَ.

وفِيمَا بَعْدُ، فِى فترةِ المُراهقةِ، يُدركُونَ أنَّ المُسامحةَ باتَتْ جُزءًا مُهمًّا مِنْ حيَاتِهِمْ، ويعدُّونَهَا أحدَ المبادِئِ الأخلاقيَّةِ التِى يتمسكُونَ بهَا. وفِى المَراحلِ اللاحقةِ أيضًا، يُمارِسُ المراهقُونَ والراشِدُونَ المُسامحةَ بصُورةٍ ثابتةٍ ممَّا يجعلُهَا طبيعةً فِى شَخصيَاتِهِمْ، أىْ أنَّ مُسامحةَ الآخرينَ تُصبِحُ جانبًا تلْقائيًّا مُتوافقًا مَعَ هُويَّةِ الفرْدِ. فَمرْحَبًا بِكَ فِى عالمِ الصَّفحِ والمُسامحةِ.

مَعَ أخلَصِ أُمنيَاتِى

دكتور. روبرت د. إنرايت

فوق السحاب العاصف

كيف الحال حين تسامح الآخرين؟





إن المسامحة أشبه بالتحليق فوق السحاب الأبيض النقى، أشبه بقط وكلب يتشاركان فى بقعة دافئة بعد يوم من الشجار والعراك، أشبه بالشيهم الشائك ومعه حيوان الخلد يأويان معًا إلى جحرٍ صغير فى الشتاء القارس.



عندما دخل سامح وسماح يتشاجران فى مكتب أبيهما الذى تعمُّه السكينة والهدوء، قرر أبوهما اصطحابهما فى رحلة خيالية يفهمان خلالها معنى المسامحة ويدركان أن الصفح لا يغمر من نسامحه فقط بمشاعر من الرضا والسرور، إنما يزيد من إحساس المسامح نفسه بتلك المشاعر.





